المصدر: الشرق الاوسط
التاريخ: ٢٣ مايو ١٩٨٥م

الحرب الصامتة التي تستهدف المسلمين البلغار واسماءهم

رحيم سليمان" يتحول إلى "ناعوم شالا مانوف" تحت تهديد السلاح

لندن ـ «الشرق الاوسط» ـ من عبد الوهاب ولي:

في فجر جليدي تنثر الريح الباردة، الثلج على البيوت والأشجار الجرداء، استفاق القرويون مذعورين على هدير العربات العسكرية الذي طغى على صوت الريح، وهي تحاصر القرية وتسد المنافذ اليها، وكانها يد جلاد قاس تمسك برقبة ضحية. اقترب وقع الجزم العسكرية الثقيلة وهي تسحق الثلج الأبيض الناصع، مخلفة وراءها حفرا عميقة داكنة، من البيوت الآمنة الموصدة في ذلك الصباح الباكر، واخذت القبضات المكورة بتشنج داخل القفازات الجليدية السوداء تضرب الأبواب، ثم بدا الرعب..

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

. هجم رجال المليشيات الى داخل البيوت، وهم يحملون سلاحهم في يد ورزمة اوراق في اليد الاخرى، بينما وقف القرويون اصحاب البيوت وهم في ثياب النوم، مذهولين لا يفهمون شيئا عما يجري حولهم. ثم اعطى رجال المليشيات استمارة في يد كل رئيس عائلة وطلبوا منه ان يغير اسمه واسم افراد عائلته. وحين تململ بعض هؤلاء واستفسروا عن سبب هذا الاجراء تلقوا سيلا من الشتائم والصفقات والامر بالاسراع في تغيير الاسماء. اما اولئك الذين تجرأوا اكثر واعلنوا انهم لن يغيروا اسماءهم واسماء افراد عائلتهم لان دستور البلد ضمن لهم هذا الحق، فقد اوقفوا جانبا وهم يراقبون مذهولين رجال المليشيات يتقدمون نحو زوجاتهم وبناتهم..

تغيير الأسماء بالقوة

وقال الناجون من المنطقة، انه اذا لم تفلح هذه الوسائل في اجبار مسؤول العائلة على الرضوخ، فان فوهات المسدسات كانت تصوب على رأسه ويأتيه الأمر الحازم: «غير الاسماء ثم وقع». وفي النهاية رضخ الجميع، وجمع رجال المليشيات استماراتهم ورحلوا مخلفين وراءهم الحفر الداكنة على الثلج الابيض بفعل جزماتهم الثقيلة، واثار جنازير عرباتهم الفولاذية. اما اهل القرية البائسة، فقد اجتمعوا في ساحة القرية وهم يحدقون في وجوه بعضهم دون ان يتعرف احدهم على الآخر. فحين تسلب منك هويتك، فانت لم تعد الشخص الذي كنته.

ليس هذا وصفا لمقطع من افلام الرعب التي اعتدنا ان ننام عليها بعد ان نشاهدها مساء كل يوم على شاشات التلفزيون، ثم نحمل كوابيسنا معنا الى فراشنا. ولا هو وصف لما حدث لحي يهودي في بولندا على ايدي قوات الصاعقة الهتلرية، حيث مانزال اجهزة الاعلام في الشرق والغرب تواصل تذكير الناس بهول ما حدث، بعد نصف قرن، وكأنها كانت اول مأساة في تاريخ البشرية الطويل او آخرها، وان واجب الأجيال هو ان تطلق يد «الضحية» لتذبح وتقتل وتشرد وتحتل حتى تنتقم لنفسها مما حدث لها.

كانت هذه غارة حقيقية شنتها قوات

المسلمون في الدول الشيوعية لا يزالون يتمسكون بدينهم رغم الضغوط المكثفة

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

الميليشيات البلغارية الرسمية، فجر ١٢ يناير (كانون الثاني) من هذا العام، على قرية يابلونوفو الجبلية الواقعة في الشمال الشرقي من بلغاريا، وهي جزء من المنطقة التي تستوطنها الاقلية التركية المسلمة، لغارات مماثلة لاجبار المسلمين هناك على تغيير اسمائهم التقليدية الى اخرى بلغارية. فحدثت نتيجة ذلك صدامات عنيفة بين الاهالي الذين قاوموا هذه الحملة وبين القوات الحكومية. وتقول التقارير التي تسربت من تلك المنطقة ان عدد القتلى من المسلمين يتراوح بين ١٠٠ و ٢٠٠ قتيل. واوردت تقارير اخرى ان العدد وصل الى ٨٠٠ قتيل في الوقت الحاضر. وحملة تغيير الاسماء هذه، جزء من حملة واسعة منظمة لتذويب الاقلية التركية المسلمة هناك، اذ يبلغ عددهم حوالي مليون نسمة اي عشرة في المائة من مجموع السكان، بالرغم من ادعاء السلطات البلغارية ان عددهم لا يتجاوز بضعة آلاف. واغلب المسلمين في بلغاريا من اصل تركي، وهم يشكلون مع الاقليات المسلمة الاخرى التي تطلق عليها الـ «بوماق» حوالي ربع سكان البلاد اي بحدود مليوني نسمة.

انكار رسمي

وتنكر الحكومة البلغارية تماما، ان الاقلية المسلمة في بلغاريا قد اجبرت على تغيير اسمائها الاسلامية، وتقول ان هذه «التهمة» مفبركة من قبل اولئك الذين يريدون الاساءة الى العلاقات التركية البلغارية. وتدعي بان عملية تغيير الاسماء قد حدثت طوعا من قبل ابناء الاقلية المسلمة، خدمة للوحدة الوطنية.

فقد قال ليبومير شوبوف الناطق باسم وزارة الخارجية البلغارية، ان التقارير التي وردت حول ارغام ابناء الاقلية التركية على تغيير اسمائهم، ما هي الا «محض هراء». وقال ايضا: «ان القوانين الديمقراطية في بلغاريا تعامل المواطنين جميعا بالمساواة، وتضمن لكل واحد منهم حق اختيار اسم لنفسه، وتغيير هذا الاسم متى ما رغب في ذلك». اما عن منع الصحافيين والدبلوماسيين من الوصول الى المناطق المحاصرة، فقد قال شوبوف: «ان الظروف المناخية تجعل هذا الامر طبيعيا في موسم الشتاء». انه ادعاء ساذج حين نفترض ان اكثر من مليون مسلم قد هبوا دفعة واحدة واعلنوا تغيير اسمائهم التقليدية الى اسماء بلغارية، خدمة للوحدة الوطنية والامة السلافية!

وبالرغم من فرض الحظر على الصحافيين بالوصول الى المناطق المحاصرة الا ان هؤلاء التقوا مع بعض من ا[illegible] الهروب من المنطقة المحاصرة. و[illegible] احد الناجين ان يتحدث عما يجري هناك بشرط عدم ذكر هويته. وهو من سكان مقاطعة (قاردزالي)، في مقتبل العشرين من العمر. اذ قال ان البوليس جاءه الى بيته قبل شهر وطالبه بتسليم هويته الشخصية، ثم اعطاه بدلا منها قصاصة ورق عليها اسمه البلغاري الجديد. واخرج الشاب الورقة من جيبه وهزها في الهواء. وكان الاسم الجديد مكتوبا بخط يد وقلم حبر، وعلى الورقة الختم الرسمي والتاريخ. وقال ايضا ان البوليس ارغمه على ملء استمارة طلب تغيير الاسم للاحتفاظ بها لدى السلطات المحلية، وانه حين تردد في التوقيع عليها، ضربه رجل البوليس على رقبته وطلب منه التوقيع، وان اسماء والديه قد تم تبديلها مثل بقية الاتراك هناك. وقال وهو ينتحب: «حين تجردني من اسمي يعني انني لم اعد حيا».

لقد انهت السلطات البلغارية في نهاية العام الماضي، حملة بلغرة الأسماء في جوازات السفر والبطاقات الشخصية في المدن، وكانت هذه جزء من حملة شاملة تنتهي في نهاية العام الحالي. ومن ثم بدأت السلطات في تطبيق هذه السياسة في منطقة «قاشقورو) .و «مومو شيلجراد» في جنوب دوبريا. لكن المسلمين هناك قاوموا هذه السياسة.

اعمال ارهاب وقمع

وقال رجل امن بلغاري سابق وهو من اصل تركي يدعى رحيم موميوت، حصل مؤخرا على حق اللجوء السياسي في تركيا، انه: «في اكتوبر/ ١٩٨٤ طلبوا من رئيس بلدية مدينة (سيمولن) السابق السيد جميل ان يغير اسمه. وحين اصر على الرفض تم سحق جسده وهو حي بواسطة شاحنة. وفي نفس المدينة انتحر اربعة من المسلمين احتجاجا على فرض الأسماء البلغارية عليهم ومنعهم من تأدية شعائرهم الدينية بشكل عملي. كما تم نسف اربعة مساجد بالديناميت في مدينة سموان في بداية هذا العام، لأن السلطات البلغارية تنوي اقامة فنادق وساحات لوقوف السيارات محلها. ودمرت مقابر المسلمين وهشمت الأحجار التي تحوي كتابات عربية».

ويبدو ان حملة تغيير الأسماء قد حققت غرضها وشارفت على الانتهاء. اذ قال احد الدبلوماسيين: «ان اكثر القرى الجبلية

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

عزلة قد طالتها الحملة». وكانت صحيفة بلغارية تصدر عادة بالتركية منذ زمن طويل، قد تحولت الان الى اللغة البلغارية كاملة. وكتاب المقالات في صحيفة «النور الجديد» هذه، والذين كانت اسماؤهم تركية، يوقعون الان مقالاتهم باسماء بلغارية.

كما اوردت وكالة اسوشييتدبرس في مارس (اذار) ١٩٨٥ نقلا عن صحيفة «عالم الشباب» الالمانية الشرقية، التي نشرت بتاريخ ٢٥ فبارير (شباط) الماضي، ان بطل العالم، البلغاري في رفع الاثقال للوزن الخفيف رحيم سليمان قد غير اسمه التركي الى اسم سلافي. وان البطل الشاب يقوم الان بجولة رياضية في المانيا الشرقية باسمه الجديد (ناعوم شالامانوف). وقالت ايضا: «اذا لم تتعرف بعد على صاحب الاسم الجديد شالامانوف، فهو نفس الصبي الذي سجل الرقم القياسي العالمي وهو في الرابعة عشرة من عمره، واصبح بطلا عالميا في السادسة عشرة، وفي الثامنة عشرة من عمره سمي باسم ناعوم شالامانوف».

وفي نفس خبر وكالة اسوشييتد برس جاء ايضا ان الصحيفة الرسمية للحزب الشيوعي الالماني الشرقي «نيوز دويتشلاند» قد نشرت بتاريخ ٢٥ فبراير (شباط) ايضا، موضوعا عن الجولة الرياضية في «ميسين» جاء فيه: «ان ناحوم شالامانوف (المعروف سابقا باسم سليمانوف) هو احد المشتركين في هذه المسابقات الرياضية». واوردت وكالة المانيا الغربية الرياضية)(SID تعقيبا حول تغيير اسم سليمانوف، قالت فيه ان لغة الام لسليمانوف هي التركية، وهو من قرية (بيتشار) القريبة من الحدود التركية.

اغلاق المساجد

كما اوردت مجلة «الشؤون الدولية» اليوغسلافية في عدد شباط ١٩٨٥ معلومات تفيد ان «الحرب الخفية» بين السلطات البلغارية والاقلية المسلمة هناك تعود الى اعوام عديدة سابقة. وان جميع المساجد في بلغاريا قد تم غلقها باستثناء مسجد واحد في صوفيا. وانه بالرغم من جدار الصمت الذي اقيم بعناية شديدة الا ان الانباء التي تتسرب تكشف عن وقوع صدامات دموية. فقد حدث صدام في هذا النوع عام ١٩٧١ ذهب ضحيته عدد من المسلمين. واخر انتفاضة للمسلمين كانت عام ١٩٨١ حيث اعترف بيان رسمي بلغاري بمقتل «سبعة اشخاص من العصابات التركية».

ان ارغام الاقلية المسلمة في بلغاريا على تغيير اسمائها، هو جزء من حملة شاملة ومدروسة لتذويب هذه الاقلية داخل العنصر السلافي. ويرى البعض ان هذه الحملة تجري بمناسبة الذكرى المئوية لانتهاء حكم الامبراطورية العثمانية لبلغاريا. وترى جهات اخرى انها تهيئة للاحصاء السكاني العام الذي سيجري في بلغاريا بتاريخ ٤ ديسمبر (كانون الاول) القادم. اما اخرون فيرون انها بمناسبة انعقاد المؤتمر العام للحزب الشيوعي البلغاري في العام القادم. وهناك راي آخر هو ان الحملة هذه جاءت عقب الانفجارات الاخيرة التي حدثت في بلوفديف مركز المقاطعة التي يعيش فيها المسلمون، الصيف الماضي.

وبغض النظر عن هذه الاراء، فان ابعاد المشكلة هذه اعمق من هذا بكثير. فالنظام البلغاري يواجه الآن نفس الاحراج الذي يواجهه النظام في موسكو بسبب معدلات النمو السريعة بين السكان المسلمين. ففي بلغاريا تصل نسبة النمو الى حد ثلاثة او حتى اربعة اضعاف تلك التي بين السلاف. لهذا توقفت السلطات البلغارية عن نشر الاحصائيات السكانية منذ احصاء عام ١٩٦٥، بالرغم من ان الاحصاءات المتعاقبة والتي اعلنت رسميا تظهر تناقصا كبيرا في حجم السكان المسلمين. ففي احصاء عام ١٩٤٦ كان عدد السكان المسلمين حسب البيان الرسمي ربع مليون نسمة. وفي الاحصاء الثاني الذي جرى عام ١٩٥٦ تناقص عددهم الى (١٨٧,٧٨٩) نسمة. وحين وصل الأمر الى احصاء ١٩٦٥، لم يظهر سوى رقم رمزي للمسلمين وهو (٧٨٠٠) نسمة فقط، رغم ان الواقع يثبت عكس ذلك تماما. اذ لو تم احصاء السكان المسلمين في احصاء هذا العام بشكل امين، قد يصل عددهم الى حوالي مليوني نسمة، ولأظهر الاحصاء القادم اختلالا في التوازن السكاني لصالح المسلمين.

وبالرغم من ان الاتراك المسلمين قد استوطنوا بلغاريا منذ نهاية القرن الرابع عشر الميلادي، الا انهم حافظوا على دينهم الاسلامي ولغتهم وثقافتهم القومية حتى الان. وامام هذه الظاهرة سلكت السلطات البلغارية سبلا شتى في محاولة تذويبهم والقضاء على هويتهم الخاصة. فقد قسمت هذه الأقلية بالتساوي بين جنوب البلاد وشمالها الشرقي. وبالرغم من ان بلغاريا قد تعهدت في دستورها الجديد لعام ١٩٤٤ بالمساواة لجميع اقلياتها، غير انها مع حلول عام ١٩٤٧ ارغمت المدارس التركية على الانضمام إلى المدارس البلغارية. وفي عام ١٩٧٤ الغيت اللغة التركية من المناهج الدراسية. وفي بلغاريا اليوم يحرم على الاتراك البلغاريين الانضمام الى الجيش، ويرسلون بدلا منه للخدمة في فيالق البناء الخاصة بشق الطرق وبناء الثكنات.

ومنذ العام ١٩٤٨ طبقت الحكومة البلغارية سياسة النفي الاجباري ضدهم. ففي ذلك العام تم نفي ملء خمسين عربة قطار من المسلمين بالقوة من مقاطعة

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

احدى قيادات الجماعة الاسلامية في دولة شيوعية يتحدث عن احوال جماعته في مؤتمر دولي.

رودوب الى دوبروكا. وفي اكتوبر من عام ١٩٤٩ ارسل الى النفي ملء ٢٨ عربة من العوائل الاسلامية من مناطق مستانلي، كوجوك قاواق ودير دره، حيث ارسلوا الى الشمال من البلاد. وفي سبتمبر (ايلول) عام ١٩٥٠ تم نفي حمولة ٦٣ عربة قطار من العوائل الاسلامية من كوجوك قاواق الى مناطق ترويان، رازجراد وسومون. كما عزل الصغار من عوائلهم وتم زرعهم في التجمعات البلغارية. حيث جلب هؤلاء من مقاطعة رودوب ودلي اورمان، وارسلوا الى صوفيا وبورجاز وديميتوفجراد. وهناك عوائل لا تعرف شيئا حتى الان عن محل ابنائها المزروعين. وهذه الحملة ليست قاصرة على المسلمين الاتراك، بل طالت وتطال الـ «بوماق» والغجر المسلمين دون تمييز. ولعل وضع الـ «بوماق» والغجر من المسلمين اسوأ بكثير من المسلمين الاتراك بسبب الضغوط الدبلوماسية التي تمارسها تركيا بشأن الاتراك البلغاريين. ومع ان تركيا لا تقدر على عمل شيء فعال بالنسبة لهؤلاء لاعتبارات دولية واقتصادية، منها مثلا عبور انابيب الغاز الطبيعي من الاتحاد السوفياتي الى تركيا عبر بلغاريا، الا انها قادرة على الاقل طرح القضية على المستوى الدبلوماسي. غير ان الـ «بوماق» والغجر المسلمين لا يطمحون حتى في هذا الطرح الدبلوماسي لافتقارهم الى من يساندهم ويوصل صرتهم الى المحافل الدولية.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية